المحاضرة الرّابعة : المجتمع المسيحيّ الأوّل و أثر بولس في المسيحية

مرّ المسيحون الأوائل بعد نهاية المسيح بظروف قاسية جعلتهم يتكتّلون و يتجمّعون و يختفون حتّى ينجوا من الإضطهادين الروماني و اليهودي :

✓ التّبشير و الحياة المشتركة:

ظلّ المسيح يتراءى لاصحابه مدّة أربعين يوما يكلّمهم عن ملكوت الله و يأمرهم بعدم ترك أورشليم ، ولأجل ذلك كانوا يعتقدون أنّهم تلقّوا عن المسيح أو عن الرّوح القدس قوى عجيبة من الإلهام ، وشفاء الأمراض و العلل .(أع:1/1-4).

بعدها خرجوا للتّبشير ، في إيمان و عزم و اتّحاد منقطع النّظير وكان الرّب يزيد عددهم كلّ يوم (أع:42/2-47) ، حتّى أنّ عدد الذين اتّبعوا المسيح من اليهود ربّما فاق ثلاثة بلاف شخص بسبب خطبة واحدة (أع:41/2).

و كان اتّحادهم و إيثارهم بعضهم بعضا عجيبا؛ حيث :"كان جماعة المؤمنين قلبا واحدا وروحا واحدة ، لا يدّعي أحد منهم ملك ما يخصّه ، بل كانوا يتشاركون في كلّ شيء لهم" (أع:32/4) ، و بلغ هضمهم للذّات أن كان الواحد منهم يبيع ممتلكاته الخاصّة و يلقي الأموال بين يدي الرّسل ليتصّرفوا به ، مثلما كان يفعل برنابا (أع:36/4).

وقد ظلّ رؤساء اليهود فترة من الزّمن لا يعارضون قيام هذه الشّيعة لصغرها وانتفاء الأذى من وجودها ، لكن لما كثر عدد المهتدين و كثر ما تحت أيدي الرّسل من الأموال استولى الرّعب على قلوب الكهنة(وول ديوانت.قصة الحضارة .243/11) و أضمروا لهم الشرّ.

✓ اضطهاد المسيحين:

لم يكتف اليهود بازدراء المسيحين او الإستهانة بهم إنّما عمدوا إلى قتلهم و تشريدهم و إبادتهم ، يتّضح ذلك من خلال امساك رئيس الكهنة و أتباعه من الصّدوقيين بالرّسل و رميهم في السّجن العامّ (أع:1/5-19) و اغتيال أوستفانوس(أع:7/54-60) و اغتيال يعقوب أخ يوحنا و اعتقال بطرس(أع:1/12-5). وغيرها من الأعمال .

ولم يكن التّنكيل بالمسيحيين في فلسطين فقط ، بل لحقهم العذاب حتّى خارج فلسطين في الولايات الرّومانية خاصّة ؛ يقول يوحنا لورنس:" و يظهر من أعمال الرّسل ومن وقائع أخرى يوَثّقُ بها بأنّهم – اليهود- لم يألوا جهدا من أن يهيّجوا الحكّام و العوامّ على إبادة المسيحيين ، و هيّجهم على هذه الحماقة رؤساء كهنة اليهود و مشايخهم السّاكنون في فلسطين الذين ارسلوا رسلا لليهود الغرباء يحثّونهم على تجنّب مخالطة المسيحيين و على اضطهادهم بقدر طاقتهم ، ولكي يكون لمقاصدهم الدنيّة وجه مقبول أشاعوا بأنّ قصد المسيحيين الخيانة على الحكومة الرّومانية كما أُظهِر من اعترافهم بأنّ المسيح فاعل شرّ عاقبه بيلاطس عدلا بالموت ، ومتدّ حمقهم على المسيحيين من أب إلى ابن في الأجيال المتتابعة هذا المقدار حتّى أنّه لم يكن للكنيسة في الأجيال التّابعة أعداء امرّ من اليهود"(اريخ الكنيسة المسيحية القديمة و الحديثة ص 37).

ثمّ لحقهم فيما بعد الإضطهاد على يد نيرون سنة 64 م وتبعه دوميتانوس سنة 95 م ثمّ الفيلسوف مرقس أونطونينوس سنة 128 م ثمّ سيفيروس سنة 202 م.

✓ شاول و أثره في المسيحية:

أ).التّعريف به:

ولد واضع اللّاهوت المسيحي في طرسوس من أعمال كليكيا حوالي السّنة العاشرة من التاريخ الميلادي ومات سنة 63 ميلادي عقب الحريق الذي حدث في روما واتّهام النّصارى بإشعاله ، وكان أبوه من

الفرّيسيّين ، ونشأ ابنه على مبادئ هذه الشّيعة الدّينية المتحمّسة ، وقد كان ابوه مواطنا رومانيا وقد أورث ابنه هذا الحقّ ، و أكبر الظنّ أنّ اسم بولس هو اللّفظ اليوناني المرادف للاسم العبري شاول ، ولهذا ظلّ هذان الإسمان يطلقان على هذا الرّسول طيلة حياته .

لم يتلقّ بولس تعليما راقيا ولم يدرس الكتب اليونانية لأنّ الفرّيسيين على بكرة ابيهم لم يكونوا يسمحوا لأن يتأدّب أبناؤهم بهذا الأدب اليوناني الخالص.

غير أنّه تعلّم اليونانية و استطاع أن يتحدّث بها بطلاقة بل ويكتب كلّ رسائله بها ، مع ما في كتاباته من ركاكة.

وقد انتقلت بعض المبادئ الدّينية والأخلاقية الرّواقيية إلى مسيحية بولس المبكّرة ، كما أنّ بعض العقائد المنتشرة في طرسوس و غيرها من المدن اليونانية تسرّبت إلى فكر هذا الرّجل ، فقد كان الإعتقاد ب أنّ الله المعبود مات لأجل الخلاص ، ثمّ قام من قبره ، ليهب أتباعه بعضا من مواهبه . وهذه العقائد الخفيّة هي التي أعدّت اليونان لاستقبال بولس و أعدّت بولس لدعوة اليونان.

ب). اضطهاده المسيحيين ثمّ اعتناقه المسيحية:

كان بولس (شاول) موافقا على قتل إستيفانوس ، وبسببه كانت كنيسة أورشليم تعاني اضطهادا شديدا ، حتّى أدّى الامر بالمؤمنين إلى التشتّت في نواحي اليهودية و السامرة ، ولأجل أن يشفي غليله كان يسعى لخراب الكنيسة و يذهب إلى كلّ بيت و يخرج النّساء و الرّجال و يلقيهم في السّجن(أع:13/8).

وبينما شاول ماض في اضطهاد المسيحيين ، خرج من فلسطين إلى دمشق ليطارد المسيحيين الفارّين ، حتّى فاجأه نور من السّماء و سمع صوتا يقول له :" شاول، شاول : لماذا تضطهدني ! " فقال شاول :" من أنت ياربّ؟" فأجابه الصّوت :" أنا يسوع الذي أنت تضطهده ، صعب عليك أن تقاومني" ، فقال وهو

مرتعب خائف:" يا ربّ ماذا تريد أن أعمل ؟" فقال له الصّوت :" قم و ادخل المدينة و هناك يقال لك ما يجب أن تعمل ." (أع:9/2-7).

ج).تبشيره و أسفاره:

وبعدما وصل شاول إلى دمشق جاءه رجل اسمه حنانيّا بأمر من الرّب يسوع ليخبره أنّ الله قد اختاره ليكون حاملا لاسمه بين الأمم و الملوك و لينذره ما سيتلقّاه من آلام و صعاب في سبيل ذلك . فقام شاول مباشرة بعدما سمع الخبر و تعمّد ثمّ سارع إلى التّبشير في المجامع بأنّ يسوع ابن الله (أع:9/15-20).

وقد بلغ به الحماس و القوّة في التّبشير أن استطاع في ظرف وجيز قهر اليهود المقيمين في دمشق بحججه الدّامغة ، فحاولوا قتله ووضعوا لأجل ذلك خطّة ، لكنّ خبرها وصل إليه فاستطاع الفرار منهم (أع:9/22-25).

بعد ذلك عاد إلى أورشليم و حاول الإنضمام إلى الرّسل لكنّهم رفضوا بسبب سوابقه في اضطهاد المسيحيين ، حتّى جاء برنابا و توسّط لديهم و روى لهم كيف رأى شاول المسيح و كلّمه وكيف بشّر بشجاعة في باسم يسوع في دمشق (أع:9/26-28).

وبعد أن قبله التّلاميذ معهم أقبل على التّبشير فراح يخاطب اليهود المتكلّين باليونانية و يجادلهم ، فلما رأوا ذلك منه حاولوا قتله ، لكنّه فرّ مرّة ثانية ، و توجّه إلى طرسوس(أع:9/92-31) ، فأقام هناك ولم يبرحها حتّى جاءه برنابا فحمله معه إلى أنطاكيا ومكثا هناك سنة كاملة يخدمون الكنيسة ويبشّرون بالمسيحية ، وهناك تسمّوا أوّل مرّة بالمسيحيين(أع:11/25-27).

وبعد زمن يسير انتقل بمعيّة برنابا إلى قبرص ومنها عادا إلى أنطاكيا ثمّ إلى ايقونية و لسترة ثمّ العودة إلى أنطاكيا ، وبقي الرّجلان معا يبشّران حتّى تنازعا بسبب مرافقة يوحنّا الملقّب بمرقس فافترقا ، فخرج بولس من أنطاكيا إلى سورية و كليكية(أع:13-16).

ثمّ اصطحب بولس معه سيلا وزاد تلميذا اسمه تيموثاوس فذهبوا إلى فيليبي ثمّ إلى تسالونيكي و أثينا و كورنثوس و أنطاكيا و أفسس و مكدونيا و اليونان و لتراوس و ميلتس ثمّ العودة إلى أورشليم (أع:16-21).

د).المشاركة في مجمع أورشليم:

كان سبب انعقاد هذا الاجتماع اختلاف بولس وبرنابا مع جماعة يهودية حول الختان ، فجاءا إلى أورشليم و حكيا ما حدث لهما ، وبعد جدال طويل قام بطرس ليفضّ النّزاع ، وذكر من مناقبه ما يجعله مؤهّلا للكلام باسم الله ، وبعدها ذكر أنّ الخلاص يكون بنعمة الرّب يسوع و ليس بشيء آخر، إشارة منه إلى أنّ الختان لغير اليهود عبء وثقل قد لا يتحمّلونه ، ثمّ قام يعقوب و أشار أن لا نثقّل على غير اليهود بل يُكتب لهم أن يمتنعوا عن ذبائح الأصنام النّجسة و الزّنى و الحيوان المخنوق و الدّمّ.

وافق المجتمعون على هذا القرار و أرسلوا برنابا و بولس و يهوذا و سيلا إلى أنطاكيا و سورية و كليكية يبشّرون : أن لا نحمّلكم من الاثقال إلّا ما لا بدّ منه ؛ و هو أن تمتنعوا عن ذبائح الاصنام و عن الدمّ و الحيوان المخنوق و الزّنى ، فإذا صنتم أنفسكم منها فحسنا تفعلون و الله معكم" ففرح الجمع بها كثيرا (أع:1/15-32).

و الذي يظهر من هذا الاجتماع أنّ المجتمعين لم يرخّصوا فقط بترك الختان – علامة اليهودية – فقط ، إنّما تضمّن أيضا إلغاء بعض الأحكام التوراتية ك تحريم الخمر و الخنزير ، و الذي يدعوا إلى هذا الإستنتاج هو حصر المحرّمات في الدّم و الحيوان المخنوق وذبائح الأصنام و الزّنى.

ولذلك كان هذا الاجتماع علامة فارقة في التّأسيس للمسيحية كديانة مستقلّة عن اليهودية ، لها عقائدها و شرائعها الخاصّة ، فبعد أن كانت في السّابق مجرّد حركة محلّية تصحيحية داخل اليهودية تحوّلت بإلغاء الختان و بالسّماح للشّعوب الأخرى اعتناق المسيحية إلى ديانة عالمية و مستقلّة.